الاشتراك اللفظي والتضاد في التعبير الاصطلاحي

دراسة في روايات توفيق الحكيم

الباحث/ أشرف طاهر أحمد أبو زيد

ملخص البحث باللغة العربية:

يعرض البحث لدراسة **الاشتراك اللفظي والتضاد** بين **التعبيرات الاصطلاحية** في روايات توفيق الحكيم . وتمت معالجة التعبيرات الاصطلاحية في الروايات وفقا لنظرية **المجالات الدلالية**، حيث جاءت في مجالات **خمسة** هي: صفات الإنسان (خِلْقية وخُلُقيَّة) ونشاط الإنسان (جسمي/ حسي/ نفسي/ عقلي) وعلاقات الإنسان (إيجابية / سلبية) والأحداث والموجودات، وتم دراسة الاشتراك اللفظي والتضاد داخل هذه المجالات، مع تحديد التعبيرات الاصطلاحية التي تنتمي إليهما.

والمنهج المتبع في البحث هو المنهج الاستقرائيّ التحليليّ الذي يتم من خلاله استقراء التعبيرات الاصطلاحية في الروايات المدروسة وتصنيفها وفقا لنظرية المجالات الدلالية، ثم تحليل العلاقات الدلالية القائمة بينها من أجل الوقوف على التعبيرات التي ينطبق عليها الاشتراك اللفظي والتضاد داخل كل مجال دلالي على حدة، ويتناول البحث نظرية العلاقات الدلالية وأقسام الوحدة الدلالية عند اللغويين، ثم يتناول مفهوم الاشتراك اللفظي وآراء اللغويين القدماء والمحدثين حول وقوعه في اللغة، مع عرض لأنواع الاشتراك اللفظي وصوره في مادة الدراسة، ثم يعرض البحث بعد ذلك لظاهرة التضاد ومفهومها وموقف اللغوين منها قديما وحديثا، مع عرض التعابير التي تخضع لظاهرة التضاد في مادة الدراسة، وفي الخاتمة عرض للنتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية :التعبير الاصطلاحي – الاشتراك اللفظي – التضاد – المجالات الدلالية – العلاقات الدلالية

Abstract:

The research presents a study of polysemy and Antonymy in idiomatic expressions in the novels of Tawfiq al-Hakim.

Idiomatic expressions in the novels were analyzed according to the theory of semantic fields, encompassing five domains: human attributes (innate and acquired), human activities (physical, sensory, psychological, intellectual), human relationships (positive/negative) events, and entities. Verbal agreement and contrast within these domains were examined, and idiomatic expressions belonging to them were identified.

The study follows the analytical inductive methodology , in which idiomatic expressions in novels are surveyed, categorized according to semantic field theory. Subsequently, the semantic relationships between these expressions are analyzed to identify of polysemy and Antonymy in idiomatic expressions within each semantic field individually.

The research addresses the theory of semantic relations and the divisions of semantic unit among linguists. It then addresses the concept of polysemy and the opinions of ancient and modern linguists regarding its occurrence in language. It presents various types of polysemy and their manifestations in the study material. The research then explores the phenomenon of Antonymy , its concept, and the stance of linguists on it both in the past and present. It also highlights expressions that are subject to the phenomenon of Antonymy in the study material. In conclusion, the research provides an overview of the results obtained.

Keywords: Idiom - polysemy - Antonymy - Semantic Fields- Semantic Relations

مقدمة :

تعد نظرية العلاقات الدلالية من النظريات الحديثة في علم اللغة، وقد اعتمد عليها بعض اللغويين المحدثين – كما اعتمدوا على مجموعة من المناهج المختلفة – في تحليل العلاقات الدلالية بين الكلمات للتعرف على العوامل التي تؤدي إلى خلق هذه العلاقة الدلالية داخل اللغة، بحيث أصبحت معرفة دلالة الألفاظ معرفة شبه دقيقة ترتبط بطبيعة العلاقات الدلالية الإيجابية والسلبية بين الكلمة والكلمات الأخرى التي تشترك معها في المعنى المعجمي أو تقترب منه([1]) ولقد أدرك القدماء هذه العلاقات الدلالية بين الكلمات وعالجوها في مؤلفاتهم([2]) وذلك من خلال دراسة بعض الظواهر الدلالية، كالترادف والاشتراك اللفظي والتضاد، وهي علاقات دلالية تربط بين الوحدات المعجمية المفردة والمركبة .

أما اللغويون المحدثون فقد توسعوا في دراسة العلاقات الدلالية، وارتكز اهتمامهم أولا على دراسة الوحدة الدلالية، فاختلفت وجهات النظر اللغوية حول تعريفها، وأبرز ما أشار إليه علماء الغرب في هذا الإطار هو وجود مستويات متعددة للوحدة الدلالية، وأنها تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية([3]) هي:

١- الكلمة المفردة .

٢- أكبر من كلمة (تركيب) .

٣- أصغر من كلمة (مورفيم متصل) .

٤- أصغر من مورفيم (صوت مفرد) .

والقسم الثاني في الأقسام السابقة يمثل الوحدات الدلالية المتركبة من وحدات على مستوى الكلمة، وهي العبارات التي لا يُفهم معناها الكلي بمجرد فهم معاني مفرداتها وضم هذه المعاني إلى بعضها البعض، ويدخل تحت هذا النوع التعبير الاصطلاحي؛ لأنه لا يتضح معناه من خلال معاني المفردات المكونة له، وإنما يمكن استبداله بكلمة أخرى مرادفة، كما في التعبير(مفتول العضلات) بمعنى: قوي والتعبير(ضرب صفحا عن) بمعنى: تجاهل؛ وبالتالي يمكن التعامل معه على أنه وحدة دلالية مستقلة كالكلمة المفردة . والتعبير الاصطلاحي بوصفه وحدة دلالية Semantic Unit يخضع إلى بعض الظواهر التي تخضع لها الكلمة المفردة كالترادف والاشتراك اللفظي والتضاد وغيرها.

---

١ – انظر : الكلمة دراسة لغوية معجمية ١٢١

٢ – راجع : الأضداد لقطرب ٦٩ والأضداد لأبي الطيب ٣٣ والصاحبي لابن فارس ٥٩ والمزهر للسيوطي ٣٦٩/١

٣ – انظر : علم الدلالة ٣١ – ٣٢

وهذا البحث يسلط الضوء على الاشتراك اللفظي والتضاد في التعبير الاصطلاحي، من خلال التطبيق على روايات الكاتب الكبير توفيق الحكيم، وهو كاتب وأديب مصري، من أعظم رواد الرواية والكتابة المسرحية العربية المعاصرة، ومن الأسماء البارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث .

ولد حسين توفيق إسماعيل أحمد عبد الحكيم في ضاحية الرمل بالإسكندرية في ٨ أكتوبر عام ١٨٩٨م وتلقى تعليمه في الكتاب بدمنهور والمدرسة الابتدائية عام ١٩١٤ ثم الثانوي برأس التين والعباسية الثانوية بالإسكندرية ونال البكالوريا عام ١٩٢١ ثم تخرج في مدرسة الحقوق بالقاهرة عام ١٩٢٥ وعمل بالعديد من الوظائف منها: وكيلا للنائب العام بمحاكم الإسكندرية المختلطة عام ١٩٢٨ ثم عمل مديرا للتحقيقات بوزارة المعارف، وعين مديرا للإرشاد بوزارة الشئون الاجتماعية، ثم استقال من وظيفته وعمل صحفيا بأخبار اليوم، ثم مديرا عاما لدار الكتب المصرية وعضوا بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ثم عضوا بمجلس إدارة مؤسسة الأهرام، وله العديد من الأعمال الأدبية المتميزة في الرواية والمسرح، فمن أشهر رواياته (عودة الروح – يوميات نائب في الأرياف – عصفور من الشرق – الرباط المقدس) ومن أبرز مؤلفاته المسرحية (أهل الكهف – شهر زاد – سليمان الحكيم – الملك أوديب) بالإضافة إلى العديد من المقالات والأعمال الأدبية المتميزة([1])

وتشمل مادة البحث روايات توفيق الحكيم ﴿عودة الروح ١٩٣٣، القصر المسحور ١٩٣٦، يوميات نائب في الأرياف ١٩٣٧، عصفور من الشرق ١٩٣٨، أشعب ملك الطفيليين ١٩٣٨، راقصة المعبد ١٩٣٩، حمار الحكيم ١٩٤٠، الرباط المقدس ١٩٤٤، بنك القلق ١٩٦٧﴾.

أولا : الاشتراك اللفظي.

الاشتراك اللفظي من الظواهر الدلالية التي أشار إليها اللغويون القدماء وأعطوها عناية كبيرة عند معالجتهم للعلاقات الدلالية بين الكلمات . ومن ذلك قول ابن فارس "يُسمَّى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين ، وذلك أكثر الكلام كرَجُل وفرَس . وتُسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: « عين الماء» و« عين المال » و« عين السحاب » ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة ، نحو« السيف والمهنَّد والحسام »"([2]) والقسم

١ – للمزيد حول سيرة الحكيم ومؤلفاته انظر: توفيق الحكيم لسليمان أدهم ، وسجن العمر لتوفيق الحكيم .

٢ – الصاحبي ٥٩

الثاني الذي أشار إليه ابن فارس هو المشترك اللفظي ، وقد عرَّفه الأصوليون بأنه "اللفظُ الواحدُ الدالُّ على معنيين مختلفين أو أكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"(١)

وكما اختلف اللغويون القدماء حول وجود الترادف في اللغة ، اختلفوا أيضا حول ظاهرة المشترك اللفظي، فقد أنكر ابن درستويه (ت ٣٤٧ه) معظم ألفاظ المشترك اللفظي وتأول ما ورد منها على أنه من المجاز، لكن الكثرة الغالبة من علماء اللغة ذهبوا إلى ورود المشترك اللفظي، وألفوا فيه مؤلفات خاصة وضربوا له أمثلة كثيرة ، وعلى رأس هؤلاء الأصمعي والخليل وسيبويه وأبو عبيد وغيرهم(٢)

ويؤيد ابن الأثير (ت٦٣٧ه) وقوع المشترك اللفظي في العربية ، ليس هذا فحسب ، لكنه يرى أن الكاتب " يحتاج إلى معرفة الأسماء المشتركة ليستعين بها على استعمال التجنيس في كلامه، وهي اتحاد الاسم واختلاف المسميات، كالعين؛ فإنها تطلق على العين الناظرة، وعلى يَنْبوع الماء، وعلى المطر، وغيره، إلا أن المشتركة تفتقر في الاستعمال إلى قرينة تخصِّصها؛ كي لا تكون مبهمة، لأنا إذا قلنا: عين، ثم سكتنا، وقع ذلك على محتملات كثيرة من العين الناظرة والعين النابعة والمطر وغيره مما هو موضوع بإزاء هذا الاسم، وإذا قرَنَّا إليه قرينة تخصه زال ذلك الإبهام؛ بأن نقول: عين حسناء، أو عين نضاخة، أو ملثّة، أو غير ذلك"(٣)

وقد استقر الدرس اللغوي الحديث على التسليم بوقوع ظاهرة المشترك اللفظي في اللغات . يقول الدكتور إبراهيم أنيس" لا معنى لإنكار المشترك اللفظي مع ما روي لنا في الأساليب العربية الصحيحة من أمثلة كثيرة، لا يتطرق إليها الشك "(٤) ومن الجدير بالذكر أن معاني المشترك اللفظي لا وجود لها إلا في المعجم، أما في السياق اللغوي فلا يستعمل إلا معنى واحد فقط منها؛ لإزالة الغموض وتحديد المعنى المراد من الكلمة، وفي ذلك يقول أولمان " كثير من كلماتنا له أكثر من معنى . غير أن المألوف هو استعمال معنى واحد فقط من هذه المعاني في السياق المعين . فالفعل (أدرك) مثلا إذا انتزع من مكانه في النظم يصبح غامضا غير محدد المعنى: هل معناه (لحق به) أو (عاصره) أو أنه يعني (رأى) أو (بلغ)؟ . إن التركيب الحقيقي المنطوق بالفعل هو وحده

١ – الإبهاج في شرح المنهاج ٦٣٧ والمزهر ٣٦٩/١

٢ – انظر: دلالة الألفاظ ٢١٤ – ٢١٥ وفي اللهجات العربية ١٦٦

٣ – المثل السائر ١/ ١٩ – ٢٠

٤ – في اللهجات العربية ١٦٦

الذي يمكنه أن يجيب على السؤال"([1]) وإن كان من الممكن استغلال تعدد المعنى والمشترك اللفظي في التلاعب بالمعاني المختلفة للكلمة الواحدة، كما يرى أولمان([2])

غير أن هذا التلاعب بالألفاظ والمعاني قد يؤدي إلى نوع من الغموض في العبارة، يقول الدكتور أحمد مختار عمر" إن أخطر الآثار السلبية لظاهرة المشترك اللفظي ما قد توجده من تشويش يعوق التفاهم، أو يلقي ظلالا من الغموض على المعنى "([3]) وعلى ذلك ينبغي تجنب هذا الغموض؛ لأن اللغة – كما يقول ڤندريس– " في حاجة إلى تحديد ووضوح، وأكثر ما يجب تجنبه عند الكلام هو اللَّبس"([4])

وما أطلق عليه « أولمان » تعدد المعنى Polysemy يعني به الحالات التي تتعدد فيها معاني الكلمة الواحدة ، وضرب له مثلا : كلمة Operation التي يمكن أن تأتي في اللغة الإنجليزية بمعنى عملية جراحية أو عملية استراتيجية أو صفقة تجارية ([5]) ومن أمثلة ذلك في العربية كلمة ﴿عين﴾ التي تأتي بمعنى عضو الإبصار أو الجاسوس أو المصدر الذي ينبع منه الماء، أو غيرها من المعاني المتعددة والسياق وحده هو الذي يحدد المعنى المقصود من بين هذه المعاني . ومن خلال النظر في المادة المدروسة تبين وجود الاشتراك اللفظي عن طريق تعدد المعنى في لفظ ﴿العين﴾ حيث ورد في الروايات المدروسة بالمعاني الآتية:

١– عضو الإبصار عند الإنسان :

" إذا كانت عيون المحبين ساهرة فإن **عين** « **العذول** » لا تنام " (عودة الروح ٣٩٣)

٢– المصدر الذي ينبع منه الماء :

" فأخبرنها بأمر تلك الغريبة الجميلة الجالسة عند **عين الماء** " (الرباط المقدس ٧٩ – ٨٠)

٣– التوكيد المعنوي :

" ولو استطاع أحد لقرأ على وجوههم الباهتة، ضوء سعادة خفية بمرضهم جميعا، خاضعين لحكم واحد، يعطون **عين الدواء**، ويطعمون **عين الطعام**، ويكون لهم **عين الحظ والنصيب** "(عودة الروح ٨)

---

١ – دور الكلمة في اللغة ٧٢ ويذهب ڤندريس إلى مثل ذلك أيضا ، انظر كتابه : اللغة ٢٢٨

٢ – انظر : دور الكلمة في اللغة ١٤٥

٣ – علم الدلالة ١٨٣

٤ – اللغة لـڤندريس ٢٢٩

٥ – انظر: دور الكلمة في اللغة ١٣٢ – ١٣٤

٤- النظر والبحث :

" إن **عين العلم** الأوربي لا تقع دائما إلا على سطح الأشياء " (عصفور من الشرق ١٤٢)

٥- الاهتمام والتقدير :

" إنهم هناك ينظرون إلى أرواح الناس **بعين الجد** " (يوميات نائب في الأرياف ١٤٦)

٦- القبول والمحبة :

" الباشا المدير لا ينظر إليَّ **بعين الرضا** " (يوميات نائب في الأرياف ٩٨)

٧- الرأي ووجهة النظر :

" بل أعجب من هذا أن « سنية » قد تغيرت في **عين** « **سليم** »، فنسي فيها المرأة المادية، ذات الجسم المغري ..." (عودة الروح ٣٧٦)

٨- العدو المتربِّص بخصمه :

" وأخفت الصندوق بما فيه إلى حين إعداد مراسيم الجنازة وطقوس الدفن .. وإذا **عين الشر** تتفتح من جديد ، فقد تمكن « سيت » من العثور على الصندوق " (الرباط المقدس ٨٠)

ومن أبرز أمثلة المشترك اللفظي في المادة المدروسة تعدد معنى اللفظ ﴿ضرب﴾ بحسب السياق، للتعبير عن المعاني الآتية :

١- العزف الموسيقي :

" فانصرف إلى « البيانو » ورفع غطاءه ومر بأصابعه عليه، ثم **ضرب** بيد واحدة **نغمة** سريعة لأحد الأدوار المعروفة " (عودة الروح ١٧٧ – ١٧٨)

٢- الإهمال والتجاهل :

" وقد وجدت ملاحظ « النقطة » غارقا لأذنيه في تحرير « محضره » الذي **سأضرب به عرض الحائط** ؛ فالنيابة متى حضرت بحثت كل شيء من جديد " (يوميات نائب في الأرياف ١٧)

" لست مجنونا حتى أقرأ الأوراق من أولها كما يقرأ الناس والعقلاء ! لو فعلت ذلك لما انتهيت . ولكني **أضرب صفحا عن** الديباجة وما فيها " (يوميات نائب في الأرياف ١٤٠)

٣- العقاب والرَّدع :

" وإنكم تكشفون أسرارا خطيرة **وتضربون على أيدي** الأشرار" (يوميات نائب في الأرياف ٨١)

٤- الاستئذان :

" **وضربنا على الباب** ودخلنا فرأينا القاضي خالعا جبته وعمامته "(يوميات نائب في الأرياف ٩٥)

٥- الإيذان بالبدء في التحرك :

" وتناول الكرباج الجلد الطبيعي، **وضرب به الفضاء** علامة الانتباه والإيذان بالذهاب "

(عودة الروح ١٧٧)

٦- السفر والتنقل والترحال :

" مشى أشعب يحمل الزاد والمال، ومشى خلفه بنان مع الجارية الحسناء التي زوجوها منه وجعلوا **يضربون في الفلاة** على غير هدى "(أشعب ١١٩) - " **ضَربْتُ على غير هدى** في حانات باريس وملاهيها حتى الهزيع الأخير من الليل" (راقصة المعبد ١٣٣)

" **وضَرَبَتْ في أرجاء الأرض** أياما طوالا ، تسأل كل عابر وعابرة ... "(الرباط المقدس ٧٩)

٧- الحيرة والدهشة والتعجب :

" ولم أدر ماذا أصنع لأهون عليه الخطب ... فلزمت الصمت ... وجعل هو **يضرب كفا على كف** " (راقصة المعبد ١١٦)

" وقد استنفد مالها ، وأضاعت كل ما وصل إلى كفها في اللعب، حتى باعت أواني المنزل الفضية لتلعب بها، وزوجها ينظر إلى كل هذا **ويضرب كفا على كف** "(الرباط المقدس ٢٠٩)

٨- الضرب من أجل الزجر أو التهذيب :

" وجعل الطفل يجذب ثياب أمه ملحا في السؤال، **فضربت الأم على يده** "

(عصفور من الشرق٣٠)

٩- تحديد موعد للقاء شخص :

" إنه مندوب شركة للسينما وإنه يود محادثتي في شأن يتصل بهذه الأعمال .. **فضربت له موعدا** في مساء ذلك اليوم في بهو الفندق "(حمار الحكيم ٢٩)

١٠- نوع الشيء :

" ولم يعرف عنه الانغماس في **ضرب من ضروب اللهو**" (الرباط المقدس ٨)

١١- التحية العسكرية :

" فسمعتُ في الظلام صوت الحذاء **يضرب الأرض**، ولمحت يدا ترتفع بالتحية " (يوميات نائب ١٣)

"المركـــز كله بالخفر والعسكر تحت أمرنا، **يضرب لنا السلام** "(يوميات نائـب ٦٣)

وقـــد يقع تعدد المعنى في التعبير الاصطلاحي؛ نتيجة اســتعماله بــالنص الروائي في سياقات مختلفة، مثل التعبير ﴿يحسب ألف حساب﴾ في السياقين الآتيين:

" كان « محسن » في الحجرة جالسا على كرسي منفرد، **يحــسب ألــف حــساب** لظهور سنية ... ويصفر وجهه ويحمر لكل حركة تقترب ، ويعلو قلبه ويهــبط ..."(عــودة الروح / ٣٨٦)

" فرأى القمقم في أيدي من أمامه في الصف، يرسم به الواحد علامــة الــصليب، وهو ينضح به الميت، ثم يسلمه في صمت إلى من خلفه، وراقب الفتى هذا الفعــل يتكــرر أكثر من خمسين مرة، وهو **يحسب ألف حساب** لنوبته " (عصفور من الشرق /١١)

فالتعبير في السياق الأول يعني انشغال الفكر بأمر مهم قبيل وقوعه، بينما يدل فــي السياق الثاني على الخوف والمهابة .

وكذلك أيضا التعبير ﴿ سال لعابه﴾ في السياقين الآتيين:

" بينما مبروك ينظر إلى حركة يدها المتنقلة بين السلة والطست، ثم يحــدق فــي البتاو، **ولعابه يسيل** " (عودة الـــروح / ٣٨٦)

" استحضرت اللحم والبقل والتوابل والأباريز من حوانيــت أربعــة مــشاهير: « الجاحظ » و« ابن عبد ربه » و« الخطيب البغدادي » و« بديع الزمان » . فقد بهرني حقا **وأسال لعابي** ما وجدته لديهم من اللذائذ والطرائف "(أشعب /٧)

فهو في السياق الأول يعنى الجوع، أما في السياق الثاني فيعني انفتاح الــشهية نحو الكتابة والتأليف . والملاحظ أن التعبير- في السياق الثاني - أصابه تغير فــي مجــال الاستعمال .

ومما سبق يتضح أن الاشتراك اللفظــي يتحقــق فــي التعبيــرات الاصــطلاحية المدروسة في صورة تعدد المعنى (Polysemy) وذلك يرجع إلى الاســتعمال المجــازي

كما في اللفظ (عين) أو إلى استعمال التعبير في سياقات مختلفة كما في التعبيرين (يحسب ألف حساب / سال لعابه) وهذه التعابير تنتمي إلى مجال نشاط الإنسان.

ثانيا : التضاد .

يُعد التضاد أحد أشكال العلاقات الدلالية في اللغة كالاشتراك اللفظي والترادف، ويرى الدكتور حلمي خليل أنه " ظاهرة تكاد تنفرد بها اللغات السامية بعامة، واللغة العربية بوجه خاص، حتى أن بعض علماء المعاجم المعاصرين لم يجد مثالا لهذه الظاهرة لكي يوضحها إلا من اللغة العربية "(١) وإن كان "أولمان" قد أشار إلى ظاهرة التضاد وجعلها من باب تعدد المعنى Polysemy أو ما تناوله بالدراسة تحت عنوان " مدلولات عدة للكلمة الواحدة "(٢) ومن نماذج التضاد التي عرضها في بعض اللغات الكلمة اللاتينية altus التي قد تعني (مرتفع أو منخفض) وكلمة sacer بمعنى مقدس، أو ملعون، وكذلك الكلمة الفرنسية secre (مقدس أو ملعون) والكلمة الإنجليزية blessed (مقدس أو ملعون).

وقد أنكر بعض اللغويين القدماء وجود التضاد. يقول ابن فارس " ومن سُنن العرب في الأسماء أن يسمّوا المتضادّين باسم واحد نحو: « الجَوْن » للأسود و« الجَوْن » للأبيض . وأنكر ناس هذا المذهب، وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضدّه . وهذا ليس بشيء، وذلك أن الذين رَوَوْا أن العرب تُسمى السيف مهنَّداً، والفرَسَ طِرْفاً هم الذين رَوَوْا أن العرب تُسمي المتضادّين باسم واحد "(٣) وأنكره أيضا ابن درستويه، يقول في شرح الفصيح " النَّوء: الارتفاع بمشقَّة وثِقل، ومنه قيل للكوكب قد ناء إذا طلع، وزعم قومٌ من اللغويين أن النَّوْء السقوط أيضا، وأنه من الأضداد؛ وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد "(٤)

ونقل ابن سيدة عن أبي علي الفارسي قوله " وقد كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده " ثم أشار إلى أن هذا القول مردود؛ ولا تقوم له حجة؛ لأن أهل اللغة أمثال أبي زيد وأبي عبيد والأصمعي وغيرهم حكوا في الأضداد وصنفت فيه الكتب(٥)

١ – الكلمة دراسة لغوية معجمية ١٣٦

٢ – انظر: دور الكلمة في اللغة ١٣٩

٣ – الصاحبي ٦٠

٤ – المزهر ٣٩٦/١

٥ – انظر: المخصص ٢٥٩/١٣

على أن هذه الظاهرة قد حظيت بعناية جماعة من أئمة اللغة القدماء، يبدو ذلك فيما نقل إلينا من أقوالهم ومصنفاتهم في اللغة والأدب، وممن عني بالأضداد فجمعها وألف فيها: الأصمعي (ت ٢١٦ه) ومحمد بن المستنير قطرب (ت ٢٢٦ه) وابن السكيت (ت ٢٤٤ه) وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ه) وابن الأنباري (ت ٣٢٧) وأبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ ه) وغيرهم .

والمراد بالأضداد عند القدماء الألفاظ الدالة على المعاني المتضادة، بحيث يدل اللفظ الواحد على معنيين متضادين. يقول ابن الأنباري " هذا كتاب ذِكْر الحروف التي تُوقِعُها العربُ على المعاني المتضادّة، فيكون الحرفُ منها مؤدِّيا عن معنييْن مختلفيْن "(١) ويُعرِّف أبو الطيب اللغوي الأضداد بقوله " والأضداد جمع ضِدّ. وضِدّ كل شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن. وليس كل ما خالف الشي ضدا له. ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان، وليسا ضِدّين؛ وإنما ضِدّ القوة الضعفُ، وضِدّ الجهل العلم. فالاختلاف أعم من التضاد، إذ كان كل مُتضادَّيْن مُختلفينِ، وليس كل مُختلفينِ ضِدَّيْن "(٢)

ويرى ابن الأنباري أن كتابه المُسمَّى (الأضداد) يشمل الكلمات المتضادة عند من سبقه، وأنه يغني عن الكتب الأخرى في الأضداد؛ لما به من زيادة وفائدة . يقول " وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادّة، وصنفوا في إحصائها كتبا، نظرت فيها فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء، وأسقط منها جزءا، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها، فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا على حَسَب معرفتي ومبلغ علمي، ليستغنِيَ كاتبه والناظرُ فيه عن الكتب القديمة المؤلفة في مثل معناه، إذ اشتمل على جميع ما فيها، ولم يُعْدم منه زيادة الفوائد، وحسن البيان، واستيفاء الاحتجاج، واستقصاء الشواهد "(٣) ومع ذلك يرى بعض علماء اللغة أن طائفة كبيرة من الأمثلة التي ساقها ابن الأنباري ليست من باب الأضداد وأنه وصل به الأمر إلى حد التكلف والتعسف ليجعل منها كلمات متضادة(٤)

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن التضاد نوع من العلاقة بين المعاني، ربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى من المعاني، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، ولا سيما بين الألوان فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد، كما يرى أن التضاد فرع من المشترك اللفظي، وأن عوامل تكون

١ – الأضداد لابن الأنباري ، ص ١
٢ – الأضداد لأبي الطيب ١/١
٣ – الأضداد لابن الأنباري ١٣
٤ – انظر: في اللهجات العربية ١٧٦ – ١٧٨ وفصول في فقه العربية ٣٣٩ – ٣٤٢ وعلم الدلالة ١٩٧ – ١٩٨

المشترك اللفظي تصلح أن تكون عوامل الأضداد، بالإضافة إلى عوامل أخرى كالتطير والتهكم والإبهام في المعنى الأصلي وعمومه([1]) وقد لخص الدكتور أحمد مختار عمر أهم ما قيل من أسباب حول نشوء هذه الظاهرة، فقسمها إلى أسباب داخلية، وخارجية، وتاريخية([2])

ومن خلال استقراء التعبيرات الاصطلاحية في المادة المدروسة تبيَّن أن التضاد يقع بسبب التهكم، كما في التعبير﴿عفارم عليك﴾ الذي يعني الثناء والتشجيع أو التهكم والسخرية، بحسب السياق، كما في النص: " **عفارم عليك** ... تبقى حضرتك عاملها وتتهم فيها غيرك؟! "(عودة الروح ٢٥)

وكلمة ﴿عفارم﴾ تركية أصلها من ﴿ آفارم – آفرين﴾ وهي عبارة تشجيع([3]) وبالتالي يشير السياق إلى أن التعبير فيه تهكم على «عبده» الذي اتهم سليم صراحة بسرقة المنديل، فأراد «سليم» بهذا الأسلوب الساخر أن يرد الكيد، ويلقي هو أيضا بالتهمة على «عبده» ليبرئ نفسه، ولا شك أن التهكم والسخرية قد يؤديان في بعض الأحوال إلى قلب المعنى وتغيير الدلالة إلى ضدها.

وهذا التهكم يقع بين الشباب بصفة خاصة، رغبة منهم في الخروج عن القواعد المألوفة في التعبير، فيلجأون – أحيانا – إلى التعبير عن الشيء بكلمة مضادة ؛ للاستهزاء والسخرية([4]) وذلك ينطبق على النص السابق؛ فطرفي الحوار(سليم / عبده) من فئة الشباب.

ومن الأمثلة على وقوع التضاد بسبب التهكم التعبير﴿هداه الشيطان﴾ في السياق التالي:

" فقد اتهِمَ في بورسعيد بمغازلة سيدة سورية ... وطلب الوصل والقرب من ذات الحسن، وبحث طويلا عن الطريقة، وأخيرا **هداه الشيطان** .."(عودة الروح / ٢٦)

والتعبير هنا فيه تهكم من الكاتب؛ حيث إنه يدل على الهداية لفظا، لكنه من ناحية المعنى السياقي يدل على الغواية والضلال؛ فالشيطان لا يهدي وإنما يضل ويأمر بالفحشاء والمنكر.

---

١ – انظر: في اللهجات العربية ١٧٩ – ١٨٥

٢ – انظر: علم الدلالة ٢٠٤ – ٢١٤

٣ – دراسات لغوية ١٧٥

٤ – انظر: في اللهجات العربية ١٨٠

والملاحظ أيضا من خلال استقراء الروايات المدروسة أن كلمة ﴿الطرب﴾ وردت للتعبير عن الانبساط والسرور، كما في: " الغنا والطرب أحسن دوا لهـا "(عـودة الـروح ١٢٠)

مع أن بعض اللغويين القدماء عـدَّها من الأضداد؛ إذ يقال: طرب إذا فـرح، وطرب إذا حـزن. وقـد رفض ابن الأنباري هذا القول، لأن الطرب عنده ليس هـو الفرح ولا الحزن؛ وإنما هو خفة تلحق الإنسان في وقت فرحه وحزنه([1])

وتوجد بعض الثنائيات المتضادة من التعبيرات الاصطلاحية في الروايات علـى النحو التالي:

التعبير	المعنى		المجال الدلالي
خفيف الظل (بنك القلق١٨)	مرح	تضاد	صفات الإنسان
ثقيل الظل (بنك القلق١١٧)	غليظ		
انشرح صدره (عودة الروح ٢٤٠)	الرضا والارتياح	تضاد	المشاعـر
ضاق صدره (الرباط المقدس ٢٢)	الضيق والضجر		
راقص القلب (عصفور من الشرق ٥٢)	الفـرح	تضاد	نشاط الإنسان
كاسف البال (عودة الروح ٢٧٩)	الحزن		
يوم نحس (عودة الروح ٣٧)	تفاؤل	تضاد	الأحداث
ليلـة حـظ (يوميـات نائـب فـي الأرياف٣١)	تشاؤم		

١ – انظر : الأضداد لابن الأنباري ١٠٢ – ١٠٣

حفل بها (الرباط المقدس ٢١٣)	الاهتمام	تضاد	نشاط الإسان
لم أحفل بها (يوميات نائب ٤٩)	التجاهل		

والملاحظ من خلال الجدول السابق ما يلي:

١- أن التضاد يقع في التعبيرات الاصطلاحية السابقة عن طريق استبدال اللفظ الأول من التعبير كما في الحالتين: الأولى والثانية، أو من خلال استبدال التعبير بأكمله كما في الحالتين: الثالثة والرابعة، أو عن طريق إضافة أداة نفي كما في الحالة الأخيرة .

٢- تتنوع المجالات الدلالية التي يقع فيها التضاد بين التعبيرات الاصطلاحية في الروايات المدروسة، حيث جاءت في مجالات ثلاثة هي:

أ- صفات الإنسان .

ب- نشاط الإنسان .

ج- الأحداث .

٣- النسبة الأكثر شيوعا من حالات التضاد تقع في المجال الدلالي الخاص بنشاط الإنسان ويأتي في المرتبة الثانية مجال صفات الإنسان ومجال الأحداث.

خاتمة البحث.

يخلص البحث إلى النتائج الآتية:

١- المجالات الدلالية التي عالجها البحث خمسة هي: صفات الإنسان ونشاط الإنسان (جسمي/ حسي/ نفسي/ عقلي) وعلاقات الإنسان (إيجابية / سلبية) والأحداث والموجودات، وتنحصر التعابير التي تخضع للاشتراك اللفظي في مجال (نشاط الإنسان) دون غيره من المجالات الدلالية الأخرى.

٢- يتحقق الاشتراك اللفظي في التعبيرات الاصطلاحية داخل الروايات المدروسة في صورة تعدد المعنى (Polysemy) وذلك يرجع إلى الاستعمال المجازي أو إلى استعمال التعبير في سياقات مختلفة.

٣- يقع التضاد في التعبيرات الاصطلاحية داخل النص الروائي بسبب التهكم والسخرية، حيث يؤدي ذلك إلى قلب المعنى وتغيير الدلالة إلى الضد.

٤- يقع التضاد في التعبيرات الاصطلاحية المدروسة عن طريق استبدال اللفظ الأول من التعبير أو استبدال التعبير بأكمله أو إضافة أداة نفي.

٥- تتنوع المجالات الدلالية التي يقع فيها التضاد بين التعبيرات الاصطلاحية في الروايات المدروسة، حيث جاءت في مجالات ثلاثة هي:

أ- صفات الإنسان.

ب- نشاط الإنسان.

ج- الأحداث.

٦- النسبة الأكثر شيوعا من حالات التضاد تقع في المجال الدلالي الخاص بنشاط الإنسان ويأتي في المرتبة الثانية مجال صفات الإنسان ومجال الأحداث.

قائمة المصادر والمراجع العربية .

أولا : المصادر :-

١- أشعب ملك الطفيليين – توفيق الحكيم – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الثانية – ٢٠٠٧م.

٢- بنك القلق – توفيق الحكيم – دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه – القاهرة.

٣- حمار الحكيم – توفيق الحكيم – دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه – القاهرة.

٤- الرباط المقدس – توفيق الحكيم – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٥- راقصة المعبد – توفيق الحكيم – دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه – القاهرة.

٦- عصفور من الشرق – توفيق الحكيم – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الرابعة – ٢٠١٠م.

٧- عودة الروح – توفيق الحكيم – دار الشروق – القاهرة – الطبعة السابعة – ٢٠١٩م.

٨- يوميات نائب في الأرياف– توفيق الحكيم– دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه– القاهرة.

ثانيا: المراجع العربية :-

١- الإبهاج في شرح المنهاج – تأليف شيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٦٥ه) وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١م) – دراسة وتحقيق الدكتور أحمد جمال الزمزمي والدكتور نور الدين عبد الجبار صغيري – دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث – دبي – الإمارات العربية المتحدة – ط١ – ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٤م.

٢- الأضداد – محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٧ه)– تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

٣- الأضداد في كلام العرب – لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي(ت ٣٥١ه) – تحقيق الدكتورة عزة حسن – مطبوعات المجمع العلمي العربي – دمشق – ١٣٨٢ه / ١٩٦٣م.

٤- دراسات لغوية – د/عبد الصبور شاهين – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط٢– ١٤٠٦ه/١٩٨٦م.

٥- دلالة الألفاظ – د/إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة – الطبعة الخامسة – ١٩٨٤م.

٦- دور الكلمة في اللغة – ستيفن أولمان – ترجمة وتعليق الدكتور كمال بشر- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ط١٢ – ١٩٩٧م.

٧- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها – لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط ١ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٨- علم الدلالة – د. أحمد مختار عمر – عالم الكتب – القاهرة – الطبعة الخامسة – ١٩٩٨م.

٩- فصول في فقه العربية – د. رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجى – القاهرة – الطبعة السادسة – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٠- في اللهجات العربية – د . إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة- ط٣- ٢٠١٠م.

١١- الكلمة دراسة لغوية معجمية – د. حلمي خليل – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية – ط٢ – ١٩٩٨.

١٢- اللغة – جوزيف فندريس – تعريب عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص – مكتبة الأنجلو المصرية – مطبعة لجنة البيان العربي – القاهرة – ١٣٧٠ه / ١٩٥٠م.

١٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير(ت ٦٣٧ه) – تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد – مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة – ١٣٥٨ه/ ١٩٣٩م.

١٤- المخصص- لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي المعروف بابن سيدة (ت ٤٥٨ه) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – دون تاريخ.

١٥- المزهر في علوم اللغة وأنواعها- للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) – شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون – مكتبة دار التراث – القاهرة، ط ٣، بدون تاريخ.